شاهد الملوك والدوقات ما يحدث في ذهول. فبمقارنته بهم، لم يكن آرثر سوى غلام صغير. فرح بعض من الرجال العظماء، منهم الملك ليوديجرانس، من أجل آرثر وقبلوه في الحال. إلا أن البعض، ومنهم الملك بيلينوري، ورينس، ولوت، ويورين شعروا بالمرارة والحقد، وأرادوا أن يطعنوا في النتيجة.

تنحى كل من سير إيكتور وسير كاي جانبًا، وكل منهما تنتابه مشاعر مختلطة؛ فمنذ لحظات فحسب لم يكن آرثر سوى صبي؛ ابن وأخ. لكن بحدوث المعجزة، صار رجلًا في الحال.

تدافع الجمع من أجل لمس آرثر، أو حتى لمس أهداب ثوبه. لكن لمّا رأى آرثر الانفعالات التي علت وجه الأسرة التي لم يعرف غيرها في حياته، اندفع وسط الجمع كي يصل إلى سير إيكتور وكاي، وأمسك بيديهما وقبل كلًّا منهما برقة على وجنته، وعندئذ علت هتافات الجمع أكثر من ذي قبل. كان قلب آرثر ونفسه يرقصان طربًا حتى إنه بدا وكأنهما يحلقان كطائر رشيق.

وبعد مشاهدة هذا السحر، تمنى ميرلين أمنية؛ وكانت أمنيته هي أن كل من قد يسمع هذه القصة — بمن فيهم أنت عزيزي القارئ — يدرك أنه هو أيضًا يمكن أن ينجح في مساعيه، وأن كل ما عليه هو أن ينتزع بشغف سيف أحلامه من الحديد الصلب الموجود في الموقف الذي يعيشه. فكر في هذا فيما تتوالى أحداث هذه القصة.

خاتمة

بالطبع، يندر أن تسير الأمور بهذه السهولة، ولم يكن هذا الحدث استثناءً من القاعدة العامة؛ إذ لم يصر آرثر ملكًا في التو واللحظة. فبينما فرح كثيرون لإرساء السلام أخيرًا في الأرض المضطربة، ظل البعض رافضين قبول النتيجة، فطلبوا أن يقوم آرثر بالمزيد من المحاولات.

ومن أجل حفظ السلام، وافق رئيس الأساقفة على هذا الطلب، وأمر بتجهيز مسابقة أخرى لانتزاع السيف في يوم عيد «دخول المسيح الهيكل» حيث ستُعاد الكَرة من جديد. ثم كانت مباراة ثالثة يوم عيد «الفصح»، ورابعة يوم عيد «العنصرة». وبعد المباراة الرابعة، لم يقتنع معظم الناس فحسب، بل أحبوا آرثر حينذاك حبًّا جمًّا. وأخيرًا أُعلن تتويج آرثر رسميًّا.

وبمساعدة ميرلين ونصائحه السديدة، بنى آرثر مملكة عظيمة وقوية أسماها «كاميلوت». وكوّن أيضًا صداقات مع ملوك آخرين. وتبقى عدد قليل من الأعداء شنوا حروبًا عليه، ولكنه استطاع درء هجماتهم وتحقيق النصر في حروبه، فجرد عدوه الملك بيلينوري من ممتلكاته وطرده إلى الغابة، وطرد الملك رينس إلى الجبال. ولتجنب هجمات الأعداء الآخرين المحتملين أمثال الملك لوت والملك يورين، أخذ آرثر بعض الرهائن لحفظ السلام؛ فقد أسر جيواين وجيهاريس ابني الملك لوت، وإيواين ابن الملك يورين. لم يحتفظ بهم سجناء وإنما رجال من رجال بلاط آرثر.

وفيما عم السلام أرجاء الأرض، بدأت عظمة آرثر — كما يليق بالعظمة — تجلب له مزيدًا من العظمة. بدأ رجال نبلاء من أصحاب المواهب تمنوا بدورهم أن يحققوا المجد في الفروسية يجتمعون حوله. ولسوف يُعرف أولئك الرجال المبجلون باسم «النبلاء» أو

«الفرسان» أو «رفاق الطاولة المستديرة المبجلون القدماء». ولسوف نروي أيضًا قصصهم النبيلة.

الجزء الثاني

الفوز بسيف

الفصل الأول

في أحد أيام الربيع الدافئة، كان آرثر ورجال حاشيته يشقون طريقهم وسط غابات أوسك. وكان من بين الفرسان الذين كانوا برفقته حينذاك سير جيواين، وسير إيواين، وسير كاي، وسير بيلياس.

كان الرجال قد توقفوا ليستظلوا من الشمس عندما وقعت أعينهم فجأة وسط الأشجار على منظر مؤسف؛ إذ كان هناك فارس غارق في دمائه، ويضعه خادم ذهبي الشعر على جواده. التف رجال آرثر حولهما للمساعدة، وسألوه عما حلّ بضيفهم، الذي اتضح أن اسمه سير مايلز من وايت فاونتن.

وأخبرهم الغلام أنه خرج هو وسير مايلز في أحد الأيام بحثًا عن مغامرة، ومرا بأحد الأودية حيث كانت ثلاث حسناوات يتقاذفن كرة ذهبية. أرشدتهما الحسناوات إلى جسر حجري يمر فوق نهر متلاطم الأمواج، حيث سيجد سير مايلز مغامرة رائعة تسر قلب أي رجل، كما أكدت له الحسناوات.

أوضح الغلام أنه ذهب مع سير مايلز إلى الجسر، وبعد الجسر بمسافة طويلة، كانت توجد قلعة مظلمة ذات برج منتصب شاهق الارتفاع. وعلى الجانب الآخر مباشرة من الجسر، توجد شجرة تفاح يتدلى من أغصانها بالقرب من الأرض عدد كبير من التروس. وكان هناك ترس واحد أسود في وسط الجسر وإلى جانبه مطرقة نحاسية، وإلى جانب الترس لافتة مكتوب عليها: «من يطرق على هذا الترس هو وحده المسئول عن هذه المجازفة.»

أمسك سير مايلز بالمطرقة وضرب الترس الأسود. وانفتحت الأبواب الضخمة للقلعة وخرج منها فارس يتسربل بدرع من فرو السمور، اندفع في غضب إلى منتصف الجسر.

قال الفارس إنه بسبب وقاحة سير مايلز فإنه سيسلبه ترسه ويدليه من الشجرة كبقية التروس الأخرى التي تتدلى من شجرة التفاح.

وبالطبع قاتله سير مايلز وأُصيب بجروح خطيرة وسرعان ما وقع على الأرض هامدًا. اقترب فارس السمور وأخذ ترس سير مايلز وعلقه في شجرة التفاح. وعندئذ استدار وعاد أدراجه إلى قلعته. وأخذ الغلام سيده بعيدًا عبر الغابة إلى حيث التقى بآرثر.

رأى آرثر أنه من الوقاحة الشديدة أن يُترك فارس ساقط على الأرض وأن يُؤخذ ترسه، واتفق معه في الرأي بقية الفرسان الآخرين.

ثارت ثائرة غلام يُدعى جريفلت أكثر من الباقين عند سماعه هذه القصة، فهب واقفًا، وترجى آرثر أن يعطيه لقب فارس، وتمنى أن يذهب إلى الجسر ويقاتل فارس السمور. تردد آرثر؛ إذ كان جريفلت لا يزال صبيًّا غير مُدرَّب على القتال. لكن لعله تذكر أيام صباه فوافق أخيرًا.

غادر جريفلت غداة اليوم التالي، وأمضى اليوم بأكمله، وعندما عاد، أخبرهم بأنه التقى أيضًا النساء الثلاث اللاتي أرسلنه كذلك إلى الجسر من أجل المغامرة، وهناك تركه فارس السمور أيضًا بجراح دامية وسلب ترسه وعلقه في مكان ما في تلك الشجرة.

لم يشأ فارس السمور في البداية أن يقاتل غلامًا صغيرًا غير مُدرَّب على القتال، وبعد أن قاتل جريفلت وجرحه، كان من اللياقة بحيث رفعه على جواده. لكن آرثر لم يلق بالًا لهذا، وأقسم غاضبًا أنه لا بد من إنزال العقاب بفارس السمور، وسيقوم بهذه المهمة بنفسه هذه المرة.

وفي صباح اليوم التالي، ارتدى آرثر درعه، وامتطى جوادًا أبيض، وشرع في رحلته إلى الوادي حيث سيعثر على النساء اللاتي يتقاذفن الكرة. وعندما رأت النساء آرثر، توقفن عن اللعب وسرن نحوه. وعندما سألهن أيضًا بماذا ينصحن رجلًا يبحث عن مغامرة، ترجينه ألا يهمّ بالبحث عنها سريعًا، وأن يمكث معهن بعض الوقت.

قال آرثر: «للأسف، لا أستطيع. لا بد أن أرحل للعثور على فارس السمور الوقح، فقد آذى اثنين من أصدقائي وسلب ترسيهما.»

وبعدما سار آرثر أميالًا قليلة في الغابة المظلمة، وصل بقعة مليئة بالدخان حيث وجد ثلاثة رجال يغطيهم السخام، ممسكين بسكاكين في أيديهم، يهددون كهلًا ذا لحية بيضاء كالثلج.

أبعد آرثر في ثورة غضبه الرجال بسيفه عن الكهل، ولمّا التفت ليسأل الكهل هل هو بخير أم لا، أدرك أن الكهل لم يكن سوى ميرلين العراف.

قال آرثر متعجبًا: «يبدو لي أنني أنقذت حياتك!»

سأله ميرلين: «أتظن ذلك؟ خذني معك وأنت تواصل هذه المغامرة، فلعلي أقدم لك بعض العون.»

سار آرثر وميرلين بعض الوقت، وعثرا على النهر المتلاطم الأمواج، والجسر الحجري، والقلعة القائمة بمفردها في الخلاء، وشجرة التفاح التي تتدلى منها التروس، النظيف منها والملطخ بالدماء. ضرب آرثر الترس الأسود لفارس السمور بقوة بدا معها وكأنه ضرب اثني عشر ترسًا في وقت واحد. وعندما خرج فارس السمور، تقاتل هو وآرثر قتالًا وحشيًّا. وذُهل كلاهما من المهارة والقوة الفائقتين اللتين ينعم بهما الآخر.

استمر القتال إلى أن انكسر سيف آرثر، فلمّا رأى فارس القلعة ذلك، ضرب آرثر ضربة قاضية أخرى على رأسه. نفذت الضربة عبر خوذة آرثر، فاهتز مخه في جمجمته، وسقط آرثر على إثر هذه الضربة. بيد أنه عندما تخلى فارس القلعة عن حيطته، غافله آرثر. ولمّا أمسك آرثر بخوذته ونزعها، وجد أن عدوه لم يكن سوى الملك بيلينوري، الذي طرده آرثر إلى الغابة. اندهش آرثر أيما دهشة حتى إنه تخلى هو الآخر عن حيطته، وعندئذ غافله بيلينوري بضربة بدوره، وكان سيقضي عليه أيضًا لولا تدخل ميرلين وإنقاذ حياته، وإبعاد الملك المصاب عن ميدان المعركة.

الفصل الثاني

أخذ ميرلين آرثر إلى بقعة من الغابة حيث يعيش قديس معروف بقدرته على الشفاء. أنزل ميرلين والقديس معًا آرثر برفق عن الجواد، وغسلا جروحه بماء نقي، ووضعاه على أريكة وثيرة محشوة بطحلب الأشنة كي يستريح.

وفي اليوم التالي استقبل القديس زوارًا آخرين هم الليدي جوينيفير من كاميليارد وحاشيتها، وكان بصحبتهم أيضًا رجل مُصاب. ولمّا علمت جوينيفير بشأن الفارس المصاب، طلبت أن تقابله، إذ كان معها وسط رجال حاشيتها طبيب بالغ المهارة متخصص في تطبيب جروح الفرسان المصابين في المعارك.

وعندما أدخلوا جوينيفير إلى جانب آرثر، بدا لها أنها لم تر في حياتها فارسًا بهذا النبل. وما إن رفع آرثر عينيه ورآها، حتى بدا له أنه لم ير في حياته ملاكًا بهذا الجمال. ولم تقدم الليدي جوينيفير إلى آرثر المعالج الشهير فحسب، وإنما أيضًا قدمت له صندوقًا مليئًا بالدهان المخفف للألم ليساعد في شفاء جسده المجروح. واضطرت جوينيفير أن تغادر بعدها مباشرة، لكن زيارتها حققت النتيجة المرجوة؛ فقد امتلأ قلب آرثر بالفرح، وفي غضون ثلاثة أيام شُفي شفاء تامًّا.

أقسم آرثر أنه لن ينسى ما حيا جوينيفير، كما لن ينسى أيضًا معركته التي لم تُحسم بعد مع الملك بيلينوري؛ فقد كان مقتنعًا تمامًا أن الأمور كانت ستسير بطريقة مختلفة لو لم ينكسر سيفه. لذا أراد أن يحاول مرة ثانية، لكن المعركة سلبته كل أسلحته.

أخبر ميرلين آرثر عن مكان سحري هو «بحيرة إنتشانتمنت»؛ ففي منتصف البحيرة بالضبط، كانت تُرى عادة ذراع امرأة شاهرة أجمل سيف في العالم وأكثر السيوف لمعانًا، وهو أروع كثيرًا من السيف الذي انتزعه آرثر من السندان، ويُعرف هذا السيف باسم سيف «إكسكاليبور». وقد غرق كثير من الفرسان لدى محاولتهم الحصول عليه.

قال آرثر: «أريد المحاولة.» وشرع الرجلان في رحلتهما، وبعد طول سفر عثرا على البحيرة التي كانت تحوطها الزنابق والنرجس. وعلى الفور تقريبًا خرجت ذراع امرأة من الماء شاهرة أروع سيف رآه آرثر في حياته. كان مصنوعًا من الذهب الخالص ومرصعًا بالكثير من الجواهر الجميلة.

وعندئذ اقتربت منهما جنية. كان شعرها الحالك السواد طويلًا للغاية، حتى إنه كان يمسح الأرض وهي سائرة. نزل آرثر عن جواده ليحييها، وقد عرف أنها «نيمو» كبيرة سيدات البحيرة. ولأنها استشعرت بشيء طيب في آرثر، أفشت إليه بسر؛ فقد صنعت البحيرة هي وبقية السيدات لإخفاء القلعة الجميلة الكائنة في أعماق البحيرة عن أعين البشر، كما أخبرت آرثر بأنه ثمة طريقة واحدة تمكن المرء من عبور البحيرة دون أن يموت.

فسألها آرثر: «هلا عرفتني هذه الطريقة؟»

ردت نيمو: «لا يمكن أن يحصل أي إنسان على هذا السيف، إلا شخصًا فوق الملامة والخوف.»

أطلق آرثر تنهيدة ضيق، فمع أنه حاول دائمًا أن يكون شجاعًا، فإنه عادة يلوم نفسه. ومع ذلك أخبر نيمو أنه يريد المحاولة. وكان هذا هو كل ما تحتاج نيمو أن تسمعه. ظن آرثر أنه لا بد أن يسبح، لكن نيمو نفخت في صافرة، فظهر قارب سحري على الشاطئ. أخذ القارب آرثر إلى منتصف البحيرة، وهناك استطاع أن يمد يده ويأخذ السيف الذي لم يستطع أي فارس قبله أن يلمسه. وهكذا صار «إكسكاليبور» له.

وبهذا السيف العظيم رجع آرثر إلى الجسر الحجري وهزم الملك بيلينوري دون حتى أن يُصاب بخدش واحد. وقرب نهاية القتال، ترجى الملك بيلينوري آرثر كي يصفح عنه، ووعد بأن يسلم نفسه إذا لم يقتله.

قرر آرثر ألا يصفح عنه فحسب، وإنما أن يرد له سلطته أيضًا، ومقابل هذا، طلب آرثر من بيلينوري أن يسلم اثنين من أبنائه هما: سير أجلافال وسير لاموراك، رهينتين لحفظ السلام. وبالفعل انضم الولدان لاحقًا إلى آرثر ليصيرا فارسين ذائعي الصيت.

وفي طريق عودتهما إلى الوطن، جاهر ميرلين العراف الملك آرثر بأن غمد السيف «إكسكاليبور» سحري تمامًا مثل السيف نفسه، ومن يرتديه لا يُصاب بأي جروح في المعركة. غضب آرثر لدى معرفة هذا، إذ شعر أن هذه الحقيقة سلبته كل مجد قتاله مع بيلينوري.

غير أن ميرلين ذكره بلطف أنه ليس فارسًا عظيمًا فحسب، بل ملكًا عظيمًا أيضًا، وحياته ومستقبله يخصان شعبه، ومن ثم لا يجدر به أن يقوم بمجازفات لا ضرورة لها.

تفهم آرثر الأمر وأقسم أن يحمي السيف وغمده، إلى أن فقد الغمد على إثر خدعة من شخص كان من المفترض أن يكون بحق أعز صديق له. لكن تلك قصة لم يحن بعد وقت سردها.

الجزء الثالث

الفوز بملكة

الفصل الأول

في يوم من الأيام، وفيما كان آرثر يقيم وليمة فخمة وكل رجال حاشيته العظيمة حوله، جاء رسول من غرب البلاد. صاح الرسول وهو يلهث: «سيدي، جئت محملًا برسالة لك من الملك ليوديجرانس، ملك كاميليارد؛ الملك رينس ملك شمال ويلز يطالبه بمطالب مزعجة ويهدده بشن الحرب. إنه بحاجة إلى عونك.»

سأله الملك آرثر: «وما هي مطالب رينس؟»

رد الرسول: «هو يريد الأرض، كما يرغب في تزويج الليدي جوينيفير بنت الملك لدوق موردونت، دوق شمال آمبر.»

ارتج البلاط بأكمله لدى سماع هذا، إذ كان معلومًا لدى الجميع أن الدوق موردونت رجل قبيح وحشي الطباع.

اشتد غضب الملك آرثر، ولمّا تذكر كيف هلّت عليه جوينيفير كالملاك فيما كان مُلقى جريحًا في الغابة، أقسم أن يساعدها هي ووالدها. وفي اليوم التالي شق طريقه هو وميرلين نحو كاميليارد، وبرفقتهما الفرسان سير جيواين، وسير إيواين، وسير بيلياس، وسير جيراينت.

وفيما كان الملك وميرلين بمفردهما، صرح له بمشاعره نحو ليدي جوينيفير، وطلب منه أن يساعده على التنكر حتى يتسنى له أن يراها في الخفاء، كما أراد أيضًا أن يكتشف الخطر الذي تجابهه المملكة دون أن يراه أحد. أعطى ميرلين الملك آرثر قبعة، عندما يضعها على رأسه يتحول الملك إلى صبي ريفي. وبعد أن ارتدى آرثر القبعة، سُرعان ما عُين هذا الصبي الريفي البسيط بستانيًّا في قلعة ليدي جوينيفير.

كانت ليدي جوينيفير تسير في الحديقة كل يوم، لكنها لم تكن ترى سوى البستاني الصغير الذي عُين مؤخرًا يعمل وسط الأزهار. وبعدما أضنى آرثر نفسه في العمل، أراد

أن يغسل وجهه في نافورة الحديقة، وكانت النافورة تقع في بقعة محجوبة عن الأنظار حيث ظن آرثر أن لن يراه أحد.

ولم يكن ظنه في محله. فقد رأته من نافذة القلعة إحدى جواري جوينيفير التي تُدعى ميليسين من «وايت هاند». لم تر آرثر وهو ينزع القبعة، وإنما ما رأته هو فارس وسيم يرتدي ياقة ملكية ذهبية ويغسل وجهه. ركضت ميليسين إلى الحديقة كي تتحقق من الأمر، لكن آرثر سمع وقع خطواتها فارتدى قبعته سريعًا.

وعندما سألت البستاني الصغير عن الفارس الذي رأته عند النافورة، أجابها آرثر بكل احترام أنه كان بمفرده هناك على مدار الساعة المنصرمة، وقال لها: «لا بد أنكِ كنتِ تحلمين.»

قالت لها جوينيفير نفس الشيء، وبدأت ميليسين تظن أنها كانت تحلم. لكن بعد مرور أيام معدودة، نظرت من نافذتها في الصباح أيضًا وإذ بالفارس الوسيم عند النافورة مرة أخرى، فأسرعت وأيقظت جوينيفير.

أطلت جوينيفير من النافذة بعينيها الناعستين — لكن غير الحالمتين — فرأت الفارس بدورها. ارتدت جوينيفير ملابسها في عجالة، وأخذت ميليسين معها ونزلت إلى الحديقة.

لكنهما سارتا هذه المرة في هدوء، ولم يسمعهما آرثر حتى اللحظة الأخيرة. ومع أنه كان لديه الوقت لارتداء قبعته السحرية مرة أخرى، فقد أدرك بعد فوات الأوان أن ياقته الذهبية ما زالت ملقاة بعيدًا على العشب. وعندما قال لهما إنه لم يقترب أحد من النافورة سواه على مدار الساعة المنصرمة، أدركت جوينيفير أنه يكذب.

قالت له جوينيفير: «خذ هذه الياقة، وأعدها إلى الفارس الذي أوقعها، وأخبره أنه ليس من أخلاق الفرسان أن يختبئوا في حدائق السيدات.» ثم عادت هي وميليسين إلى القلعة. غير أنه عندما وصلت جوينيفير غرفتها راودتها فكرة، فطلبت من ميليسين أن تذهب وتأمر البستاني أن يحضر لها سبتًا من الورود.

وعندما دخل آرثر المتنكر حاملًا الورود، شهقت كل جواري جوينيفير لأنه ظل مرتديًا قبعته بكل وقاحة. فقال آرثر: «لا أستطيع أن أنزع قبعتي، فــ … فلدي بقعة قبيحة في رأسي.»

بدا وكأنما جوينيفير قد قبلت عذره، لكن عندما انحنى آرثر كي يعطيها الورود، مدت يدها وخطفت قبعته، فانكشف آرثر بكل بهائه البراق. ولم يعلم أي من الحضور

أنهم كانوا في حضرة الملك آرثر العظيم، لكن جوينيفير تذكرت أن هذا هو الفارس الجريح الذي قابلته في الغابة.

كانت جوينيفير أبية النفس فلم تشأ أن تضعف أمام فارس كذب عليها مهما كان وسيمًا. وأقسمت أنها سوف تحميه وأمرت جميع من شاهدوا السحر أن يكتموا سره. لكنها قررت أن تعامله في تلك اللحظة بتعالٍ وتعرفه مقامه.

قالت في برود: «خذ قبعتك، وعد إلى ورودك أيها الولد البستاني.» قهقهت وصيفاتها، وعندئذ صرفته. وارتدى آرثر قبعته في احترام وانحنى في تواضع ثم رحل.

في اليوم التالي، جاء رسول إلى الملك ليوديجرانس يحمل بعض الأخبار؛ الملك رينس — الذي لا يزال يطالب بالأرض ويتوعد بالحرب — في الطريق ومعه الدوق موردونت الذي لا يزال يطالب بالزواج من الليدي جوينيفير.

وفي محاولة من الملك ليوديجرانس لتجنب الحرب، استقبلهما استقبال الأصدقاء لدى وصولهما الحدود الخارجية للمملكة، غير أنهما رفضا الدخول. ولمّا أحضرا معهما زمرة كبيرة من الفرسان واللوردات، قررا أن يخيما هناك في مكانهما خارج أسوار القلعة. وأخبرا الملك ليوديجرانس أنهما سوف يمكثان هناك مدة خمسة أيام، وإذا لم تتزوج جوينيفير من موردونت في خلال هذه المهلة، فسوف يعتبران ليوديجرانس عدوهما ويشنان الحرب عليه.

ومع أنهما أعطياه مهلة خمسة أيام، أعلن موردونت عن ملله بعد خمس دقائق فحسب. ولمّا ظن أن الليدي جوينيفير ربما كانت تشاهده، وأراد أن يستعرض أمامها، أعلن عن رغبته في مبارزة أي فارس في البلاط. تباهى الدوق، وأخذ يذرع الساحة أمام القلعة جيئة وذهابًا وهو يصيح: «هيا الآن، ألا يوجد أي شخص يستطيع أن يبارزني؟»

لم يجرؤ أحد على الخروج من مكمنه، فمهما يكن، هذا دوق موردونت، دوق شمال آمبر، وأحد أشهر فرسان عصره. وصراحة، لم يكن هناك أي شخص في البلاط المتواضع للملك ليوديجرانس يستطيع أن يبارزه. لا أحد سوى بستاني صغير بسيط.

غير أنه كان لا بد أن يجد آرثر درعًا قبل أن يفعل أي شيء، وبالفعل أمده تاجر طيب في المدينة بجواد حرب أبيض أصيل، وبدلة بيضاء رائعة من الساتان الإسباني، ودرع. وعندما عاد آرثر إلى القلعة، متسربلًا ببدلة بيضاء بالكامل هكذا، لم يعرفه أحد. لكنهم قطعًا التفتوا لينظروا إليه وهو يمر بهم، فقد كان يظهر عليه النبل بوضوح الشديد!

كانت أولى محطاته هي قلعة الليدي جوينيفير حيث أخبرها أنه على وشك أن يقاتل باسمها، ثم طلب منها تذكارًا ليحمله معه، فأعطته جوينيفير عقد اللؤلؤ الذي كانت تتقلده حول عنقها. لف آرثر العقد حول ذراعه ثم رحل.

لم يتعرف الدوق موردونت على آرثر أيضًا، لأنه لم يكن هناك أي شعار على الدرع الأبيض الذي استعاره يشير إلى هويته. ولمّا أُلقي عن صهوة جواده على إثر إصابة رمح آرثر الماهر لترسه، لم يعرف موردونت ما الذي ضربه. وبعدها رقد ساكنًا منقطع الأنفاس زهاء الساعتين.

الفصل الثاني

فيما كان آرثر ينتظر موردونت حتى يفيق، قرر أن يأخذ جولة في الغابة. وهناك وجد فارسًا يغني لثلاث سيدات في أحد الأبراج، وعندما اقترب أكثر، عرف أن هذا المغني لم يكن سوى سير جيراينت، أحد الفرسان الذين أحضرهم معه إلى كاميليارد.

غير أن جيراينت لم يعرف آرثر ومن ثم تحداه للدخول معه في مبارزة ودية لإظهار البراعة. وفي حقيقة الأمر، راهن جيراينت آرثر على أن الفتيات اللاتي يشاهدنهما هن أجمل من الفتاة التي يحبها آرثر. أخبر آرثر جيراينت أن فتاته هي أجمل فتاة في العالم، ومن ثم قبل التحدي. واتفق الرجلان على أن من يخسر المبارزة فإنه يخدم فتاة الآخر (أو الثلاث فتيات في حال فاز جيراينت) مدة سبعة أيام.

كان جيراينت فارسًا بارعًا، غير أنه بالطبع لا يضارع الملك آرثر العظيم، وسرعان ما انهزم أمامه. ساعد آرثر الفارس المشدوه على النهوض على قدميه وأخبره أن يشق طريقه إلى جوينيفير، ويخبرها أنه انهزم أمام الفارس الذي أعطته عقد اللؤلؤ الخاص بها. وأطاع جيراينت، الذي كان رجلًا صادق الوعد.

وعندما واصل آرثر مسيرته في الغابة، التقى أيضًا الفرسان الثلاثة الآخرين الذين أحضرهم معه. كان جيوان وإيواين معًا، وسير بيلياس وراءهما. وعلى غرار جيراينت، تحدى الفرسان الثلاثة الرجل الذي لم يعرفوا أنه الملك آرثر في مبارزات إظهار لمهارات الفروسية. وعلى غرار جيراينت أيضًا، أدى الفرسان الثلاثة أداءً بارعًا غير أنهم انهزموا أمام آرثر الذي أرسلهم أيضًا لخدمة جوينيفير محملين بنفس الرسالة التي مفادها أنهم انهزموا على شرفها أمام الفارس الذي أعطته عقد اللؤلؤ الخاص بها.

وعندما وصل الفرسان الأربعة إلى كاميليارد وأدركوا أنهم جابهوا نفس المصير على يد الفارس الأبيض، تملكهم الخجل الشديد حتى إنهم لم يجرءوا على النظر بعضهم إلى

بعض. بيد أنه عندما رأت جوينيفير الفرسان الأربعة الذين هزمهم فارسها الغامض، ابتسمت في زهو وسعادة لأنها أعطت تذكار حب لمثل هذا الرجل العظيم.

ارتدى آرثر قبعته السحرية مرة أخرى بعد أن خبأ جواده ودرعه الأبيضين اللذين استعارهما في مكان آمن في الغابة، ثم عاد إلى كاميليارد. وهناك وجد نفسه في محنة؛ فقد كان رئيسه في العمل، كبير البستانيين، مستاء للغاية من آرثر بسبب اختفائه، في حين يوجد الكثير من العمل ليقوم به. جذب البستاني آرثر من ياقته وعنفه بشدة وتوعده بالضرب بالهراوة التي يمسكها.

جاشت روح آرثر الملكية بداخله ودفع كبير البستانيين في عنف بعيدًا عنه وانتزع منه هراوته. فذهب كبير البستانيين لتوه إلى الليدي جوينيفير يشكو لها.

بدت جوينيفير مستمتعة أكثر منها غاضبة. كانت تحدث نفسها أنه من الغريب أن يختفي البستاني الصغير في الوقت نفسه الذي يوجد فيه البطل الأبيض، وعندما يعود البستاني الصغير يختفي البطل الأبيض مرة أخرى. لم تكن واثقة من هذا الأمر، لكنها فكرت أنها ستكون مصادفة عجيبة أن يصل البستاني الصبي والبطل الأبيض إلى المملكة في نفس الوقت. وتساءلت هل يمكن ألا يكونا نفس الشخص، وقالت لنفسها باسمة: «أرجو أن يكونا نفس الشخص.»

لكنها توقفت عن الابتسام بعد وقت قليل. ففي اليوم التالي عاد الدوق موردونت. فبعد أن تعافى من جولة المبارزة الأولى مع الفارس الأبيض، عاد يحمل مطالب جديدة. قال إن هزيمته من قبل ما هي إلا حادثة وحظ سيئ، وسيعود في الغد ومعه ستة فرسان من أجل مبارزة جديدة، وبمقدور الملك ليوديجرانس أن يحضر سبعة فرسان أيضًا للمنافسة. وإذا فاز فرسان ليوديجرانس فسيتنازل موردونت عن مطالبه، على أنه إذا انهزم فرسان ليوديجرانس، فلن تكون جوينيفير وحدها له وإنما كل مملكة ليوديجرانس.

صار الملك ليوديجرانس في حيرة من أمره، فحتى إن استطاع أن يصل إلى البطل الأبيض، فلا يوجد فرسان آخرون لمساعدته. قطعًا لن يستطيع أن يتبارى وحده مع موردونت وستة رجال آخرين.

استدعت جوينيفير — التي كانت تمر بالقرب من والدها وسمعته مصادفة — فرسانها الأربعة، وطلبت منهم قبول مبارزة الدوق موردونت. وما أثار دهشتها أن سير جيواين رفض.

قال سير جيواين بوقاحة: «لقد تعهدنا بخدمتك وليس خدمة والدك. لن ندخل في عراك مع الدوق موردونت. وفي نهاية المطاف، نحن نخدم الملك آرثر ولا يمكننا أن نشترك في مثل هذا القتال إلا بناء على أمره.»

احمر وجه الليدي جوينيفير غضبًا وقالت: «لعلك خائف من مبارزة الدوق موردونت.»

عندئذ احمر وجه جيواين غضبًا أيضًا، وقال بصوت منخفض قبل أن يستدير ويرحل من أمامها: «من حسن حظك أنكِ امرأة.»

رحلت جوينيفير أيضًا، وفي طريق عودتها إلى قلعتها صادفت شخصًا ما. لقد كان كبير البستانيين الذي كان يحمل رسالة لها.

قال البستاني في ذهول: «الصبي الذي يعمل لدي تخطى حدود اللياقة إلى أقصى درجة، وتطاول للغاية حتى إنه أرسلني بأمر لكِ الآن.»

سألته جوينيفير: «أمر؟ أمر لي من البستاني الصغير؟»

أخرج الرجل عقد اللؤلؤ من جيبه ثم أومأ برأسه وقال: «أجل. بعد أن أعطاني هذا العقد لكِ، أمر أن تعدي له وليمة عظيمة ثم ترسلي الفرسان الأربعة كي يقدموا له الطعام في أطباق من فضة.» وهز كبير البستانيين رأسه وأردف: «قطعًا ستعاقبينه الآن، أليس كذلك؟»

لكن جوينيفير عرفت أن هذا هو نفس عقد اللؤلؤ الذي أعطته للبطل الأبيض، فردت: «كلا. سأفعل ما أمر به.»

كان سير جيواين مستاءً للغاية. قال للفرسان الآخرين في غضب: «إنها تعاقبنا لرفض مطلبها الأول. حسنًا، سنفعل ما طلبت، لكن بمجرد أن نبدأ خدمة البستاني الصبي، لن نعود في خدمتها بعد ذلك؛ فالوعد الذي قطعناه بأن نخدمها سينتقل إلى البستاني بناء على طلبها!»

وما أثار ذهول الفرسان هو أن الصبي البستاني كان يشعر بالثقة في وجودهم، فبدلًا من أن يبدو مرتاعًا، كان يتصرف كما لو كان يظن نفسه أفضل منهم. بل وعندما فرغ من تناول الطعام اتكأ إلى الوراء وبكل ثقة أعطاهم أمرًا آخر؛ فقد أمرهم أن يرتدوا زي قتال متكاملًا، وأن يتبعوه إلى معركة.

حذره جيواين قائلًا: «حذار وإلا سأعاقبك.»

لم يكن من الصبي البستاني إلا أن ابتسم وقال له: «لا أظن ذلك.» وعندئذ نزع عنه قبعته السحرية وكشف عن هويته الحقيقة.

قهقه الفرسان الأربعة بقوة وانحنوا أمام مليكهم. غير أنهم نهضوا بعد دقائق معدودات، فثمة معركة سيخوضونها!